حفريات

حفريات الكتب

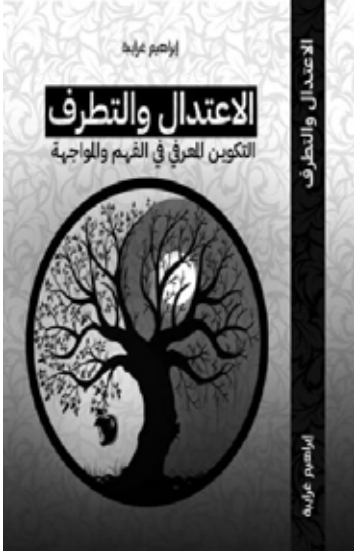

التطرف: الأسباب والمواجهة

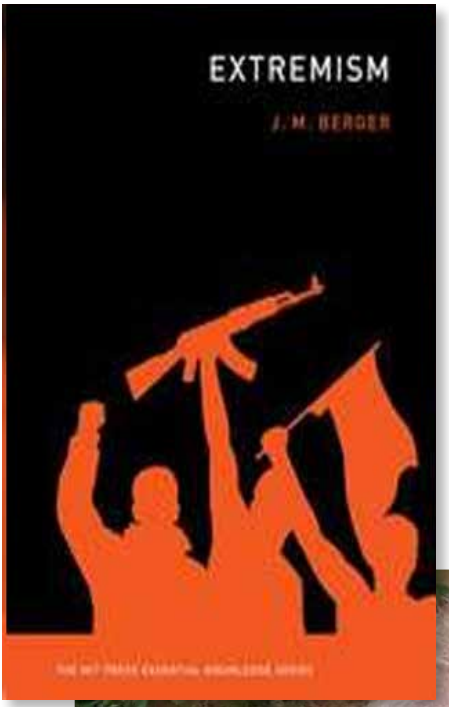

بيرغر: هل استطعنا فهم أسباب التطرف فعلاً؟

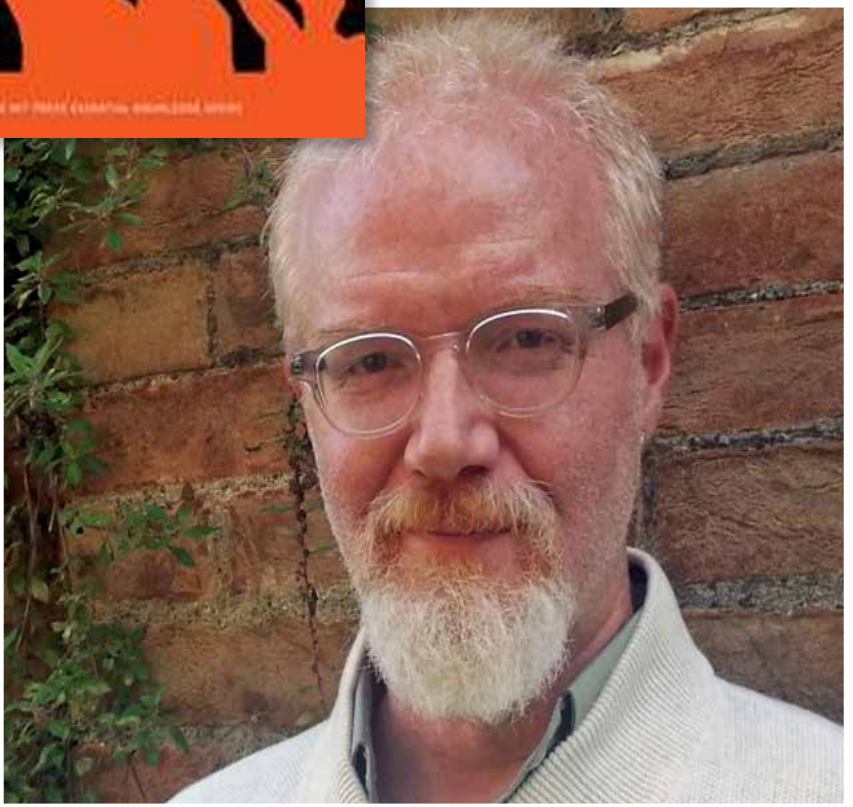

حاوره : سعود الشرفات
كاتب أردني

التطرّف مفهومٌ إشكاليّ ومُلتبس، بكلّ أنواعه، ولكنّ التطرّف الديني العنيف بشكل خاص ظاهرة اجتماعية متخطية للزمان والمكان، بل والأديان والمجتمعات.

أصبحت دراسة ظاهرة التطرّف والتطرّف العنيف وعلاقته بالإرهاب العالمي «موضة» العلوم الإنسانية اليوم، حتى أنّه يمكن القول إنّه لم تحظَ ظاهرة اجتماعية معاصرة في حقول الدراسات الإنسانية، وما تزال، بالاهتمام والدراسة في مختلف فروع العلوم الإنسانية مثل ظاهرة التطرّف الديني، خاصة بعد أن اقترنت بالإرهاب العالمي المعاصر، وأخذت تُراقصه رقصة الفالس.

فورة الاهتمام بالتطرف

جاءت فورة الاهتمام بمسألة التطرّف الديني العنيف المعاصر، وعلاقته المتبادلة بالإرهاب العالمي، عقب الهجمات الإرهابية ضدّ أمريكا، في ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١، هذه العلاقة التي فتحت الباب على ساحة واسعة من الاهتمامات والتنظيرات حول مسألة التطرّف بشكلٍ عام، والتطرّف الديني العنيف بشكلٍ خاص.

وبحسب المعلومات المتوافرة؛ ليس ثمة دراسات علميّة (إمبريقية) تثبت أنّ هناك ارتباطاً إيجابياً، وعلاقات رياضية إحصائية معتبرة بين التطرّف الديني العنيف والإرهاب،

> **جاءت فورة الاهتمام بمسألة التطرّف الديني المعاصر وعلاقته بالإرهاب العالمي عقب هجمات ١١ سبتمبر**

وذلك عائدٌ، ربما، إلى صعوبة «تكمّية» الظواهر الإنسانية كالإرهاب والتطرّف الديني.

ولذلك؛ ليس من المستغرب تركيز خبراء ومنظّري العلوم الإنسانية وعلم النفس، وخبراء الأمن والاستخبار ومكافحة الإرهاب، على دراسة هذه الظاهرة بتوسّع وعمق وغزارة، وبشتى اللغات.

ومن الإصدارات حول ظاهرة التطرّف؛ كتاب المحلّل والمستشار الأمريكي، غزير الإنتاج، (جي. إم. بيرغر) الذي جاء بعنوان «التطرّف». وصدر في ٢٠١٨ باللغة الإنجليزية، وتقدم «حفريات» مراجعة له.

يطرح بيرغر، الخبير في مسألة التطرّف واليمين المتطرف في أمريكا واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي في نشر المحتوى المتطرف، السؤال الأوّل والمحيّر في المسألة، ألا وهو: ما التطرّف؟ ثم يشرع بالتساؤل كيف يتمّ بناء وتشييد الأيديولوجيا المتطرفة؟ ولماذا يمكن أن يتسارع التطرّف نحو العنف بمحتواه الأشمل؟

هنا؛ بيرغر لا يختلف عن مئات الباحثين الذين عجزوا عن إعطاء وصفة علاج شافية لهذا السؤال، لكنّه يمتاز بحسن عرض الأسئلة في مسألة التطرّف، ليترك المجال للتفكير والإبداع في اجتراح الأجوبة؛ فالذكاء في

> **يمتاز الكتاب بحسن عرض الأسئلة في مسألة التطرّف ليترك المجال للتفكير في اجتراح الأجوبة**

طرح الأسئلة وتحريك المسكوت عنه وليس في الأجوبة فقط.

ويقرّ بأنّ التعريف «المعجمي» للمفهوم لا يقدم شيئاً لفهم الظاهرة، خاصة عندما يكون تعريف التطرّف هو: الحالة أو الوضعية التي تكون فيها متطرفاً.

ويطرح بيرغر هذا السؤال تحت وطأة الشعور بالرعب والخوف الذي يجتاح نصف الكرة الغربي من بروز موجات جديدة وعنيفة من الحركات المتطرفة، التي تهدّد بزعزعة المجتمعات المدنية حول العالم.

ويقول بيرغر: إنّه رغم التباين والاختلافات في المحتوى الأيديولوجي للحركات المتطرفة بشكل كبير؛ إلا أنّ هناك مصادر هيكلية مشتركة بين هذه الأيديولوجيات.

المصادر المشتركة للتطرّف

كمتخصصٍ في التطرّف العنيف والإرهاب والجماعات الإرهابية؛ يؤكد بيرغر أنّ المصدر الرئيس للتطرف يبرز من رؤيتنا الخاصة لـ(نحن/ الآخر/ هم)، التي تُترجَم إلى قناعة بأنّ نجاحنا (نحن) يتلازم، ولا يمكن أن ينفصل عن أفعال عدائية ضدّ هذا (الآخر).

وهذا ما يشبه اللعبة الصفرية (خاسر/ رابح)؛ بمعنى أنّ

اعتبر بيرغر تدمير الرومان لمدينة قرطاج الفينيقية أول مثال على «الإبادة الجماعّية» في التاريخ

أحد الأطراف لا يمكن أن يربح إلا بخسارة الآخر، وهذا إبستمولوجياً أحد الافتراضات الرئيسة المُضمرة في لبّ «النظرية الواقعية»، في السياسية والعلاقات الدولية ومعادلات تحليل المخاطر، وذلك على عكس النظرية «الليبيرالية الجديدة»؛ التي تقول: إنه يمكن للمجتمع الدولي والأفراد الوصول إلى وضع يربح فيه الكلّ دون أن يخسر أحد ويشعر بالغبن والقهر.

ويؤكد بيرغر؛ أنّ التطرّف يختلف عن الكراهية، التي تحرضها العنصرية والبغضاء، من حيث تبريره الشامل والجارف للإصرار عل العنف أو عقلنة استخدام العنف.

ومن أجل توضيح مقاربته للتطرف؛ قام «بيرغر» باستخدام العديد من الأمثلة والتجارب والاستشهادات من التاريخ حول العالم، التي تؤشّر على حالات التطرّف بأشكاله المختلفة، وعلى رأسها التطرّف الديني.

والمثال الأول الذي استخدمه بيرغر، مدعياً أنه يعدّ أول مثال على «الإبادة الجماعّية» في التاريخ: تدمير الرومان لمدينة قرطاج الفينيقية (مدينة أثرية بالقرب من العاصمة تونس اليوم)، وتذكر كتب التاريخ أنّ المدينة، التي أسستها الأميرة الفينيقية عليسة (أليسا أو أليسار)، العام ٨١٤ ق م، تعرّضت لعدة هجمات من

رغم التباين الكبير في المحتوى الأيديولوجي للحركات المتطرفة إلا أنّ هناك مصادر هيكلية مشتركة بينها

الرومان خلال ما يسمى بالحرب البونّية، وفي الحرب البونّية الثالثة، العام ١٤٦ ق م، دُمّرت قرطاج كلياً من قبل سيبيون الأميلي.

ثم يصل بيرغر إلى التطرّف الديني الذي أفضى إلى الإرهاب الجهادي (الأبوكلبسي) القيامي المرعب لتنظيم القاعدة، وتطرّف جماعات اليمين المتطرف في أمريكا اليوم، ومعاداة السامية المرتبطة بمؤامرة برتوكولات حكماء صهيون.

ومن خلال هذه الأمثلة، وغيرها، حاول بيرغر تتبع كيف ولد ونشأ التطرّف، وكيف نشأت حركات البحث عن «الهوية» من خلال تتبع جينولوجيّ البحث عن الهوية للأفراد والمجتمعات المتطرفة.

وفي النهاية؛ يقول بيرغر: «إذا استطعنا فهم أسباب التطرّف، والعناصر المشتركة في الحركات المتطرفة، ربما استطعنا أن نكون أكثر فعالية في مواجهة التطرّف».

«منع الراديكالية وإعادة تأهيل الإرهابيين».. كيف نعالج التطرف ونقضي على الإرهاب؟

حاوره : سعود الشرفات
كاتب أردني

«منع الراديكالية وإعادة تأهيل الإرهابيين: إطار للتطبيق وصنع السياسات»؛ تحفة فنية من «الأرابيسك البحثي»، قدّمها روهان غونارتنا (Rohan Gunaratna)، والباحثة صبرية حسين (Sabariah Hussin)، بمقاربات كلانية، يمكن أن تشكّل «كتالوجاً»، و«خريطة طريق» لا غنى عنها، للدول ومؤسسات المجتمع المدني، والمجتمعات، والخبراء، والباحثين الأكاديميين، ورجال الدين، الذين يريدون أن يفهموا برامج إعادة التأهيل والاندماج والرعاية اللاحقة، وأفضل الطرق والأساليب لمكافحة التطرف العنيف، وذلك من خلال تركيزهم على موضوعات تستخدم المقاربات الكلانية، ومن مختلف حقول المعرفة، خاصة في الجانب السيكولوجي والمعالجة السريرية والمجتمعية، مع التركيز على الأبعاد العولمية لظاهرة الإرهاب، وتمثيل أكبر عدد ممكن من الدول بالدراسة.

الكتاب هو الجزء الثاني من سلسلة الكتب التي نعرض لها في «حفريات»، وهو كتاب «منع الراديكالية وإعادة تأهيل الارهابيين: إطار للتطبيق وصنع السياسات»؛ الصادر عن دار النشر المعروفة (Routledge)، الطبعة الأولى ٢٠١٨، ويتألف من سبعة فصول، و(١٤٠)

> **دون وضع برامج ضدّ الأيديولوجيا المتطرفة في كلّ الديانات لن تنجح جهود مكافحة التطرف العنيف والإرهاب**

صفحة، وقد أكّد محرّراه على خطورة ظاهرة الإرهاب العالمي، و«دقّ ناقوس الخطر» بأنّ الإرهاب العالمي سينتشر ويزداد خطورة أكثر؛ إذا لم يتمّ التعامل معه بشكل مناسب وحصيف من قبل كافة الأطراف الفاعلة؛ من الأفراد، والدولة، ومؤسسات المجتمع الدولي، والمجتمع المدني.

مكافحة الإرهاب في ثلاث مقاربات

يحذّر الكتاب من أنّ تعزيز الحكومات لقدراتها الهجومية «الخشنة» على الإرهاب لا يكفي؛ بل لا بدّ من مزجها بالأساليب «الناعمة»، من خلال مبادرات لبرامج مكافحة التطرف وإعادة تأهيل الإرهابيين؛ لأنّ كلّ إرهابي، سواء كان داخل السجن أو خارجه، يمكن أن يكون أداة لتجنيد إرهابيين جدد، وحتى الإرهابيين الموتى، يمكن أن يكونوا أداة تجنيد ودعاية للإرهابيين الجدد؛ ومثال ذلك؛ أسامة بن لادن، وأبو مصعب الزرقاوي، الذين تحوّلوا إلى» شهداء» في نظر أفراد الجماعات الإرهابية؛ لذلك يتخذونهم مثالاً، فيحذون حذوهم.

في المقابل؛ فإنّ المتطرفين والإرهابيين المعاد تأهيلهم، يمكن أن يكونوا مفيدين جداً في معركة العلاقات العامة في مكافحة الإرهاب والتطرف العنيف.

بالطبع؛ فإنّه ليس هناك حلّ سهل لتحديات مكافحة الراديكالية وإعادة التأهيل، لكن هذا الكتاب، من خلال اعتماده على العديد من «دراسات الحالة» الإمبيريقية المهمة من مختلف دول العالم؛ التي أشرنا إلى بعضها في الكتاب الأول، يستعرض بالتفصيل أفضل الأطر المفاهيمية موثوقية ومرونة، بما يقدمه من إرشادات لتأسيس أفضل، وأكثر برامج مكافحة الراديكالية وإعادة التأهيل ملاءمة للدول، من حيث الأولوية والأهمية والتكلفة المالية.

يؤكّد روهان وصبرية؛ أنّ المؤسسات الحكومية وشركاءها، مثل؛ الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة، أعدت «كُتيّب إرشادات»، يتضمن ثلاث مقاربات رئيسة في مكافحة الإرهاب وهي: مكافحة الإرهاب الإستراتيجية، وتأتي من ضمنها برامج «مكافحة التطرف العنيف» التي تستهدف البيئة العامة للإرهاب والانخراط المجتمعي في مكافحته، ومكافحة الإرهاب العملياتية، ومكافحة الإرهاب التكتيكية التي تستهدف في النهاية القضاء على الإرهابيين.

وبناءً عليه؛ فإنّه من المهم لمكافحة الإرهاب الفعالة؛ أن تمزج بعقلانية بين المقاربات الثلاثة (الإستراتيجية، والعملياتية، والتكتيكية) للحصول على مقاربة كلّانية (holistic) لمكافحة الإرهاب.

إنّ إستراتيجية مكافحة التطرف العنيف (CVE)؛ التي أعلن عنها الرئيس الأمريكي السابق، بارك أوباما، خلال الفترة ٢٠٠٩-٢٠١٧، كانت تستهدف التفاعل مع المجتمعات الإسلامية ومنع الراديكالية، إلّا

المتطرفون والإرهابيون المعاد تأهيلهم يمكن أن يكونوا مفيدين جداً في مكافحة الإرهاب والتطرف العنيف

أنّ أوباما لم يفِ بوعده بإغلاق معتقل غوانتانامو، وعلاوة على ذلك لم تطبق فيه أية برامج لإعادة التأهيل؟!

ومعلوم أنّ تلك الإستراتيجية جاءت أصلاً؛ على خلفية «الحرب العالمية على الإرهاب» المثيرة للجدل، التي أعلنها الرئيس الأمريكي الأسبق، جورج بوش الابن، عقب هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١، التي عاد الرئيس الأمريكي الحالي، دونالد ترامب، إلى تبنّيها من خلال العودة الى استخدام المقاربة الخشنة في مكافحة الإرهاب، بحجة أنّ تلك المقاربة لم تكن فعّالة.

وهو ما يؤكد الباحثان على خطورته في مجال مكافحة الإرهاب؛ بحجّة أنّه سيساهم في زيادة انتشار التطرف العنيف والإرهاب، بدلاً من نشر الوسطية الإسلامية.

مع الإشارة إلى مسيرة الإدارات الأمريكية في إدارة ملف مكافحة الإرهاب والحرب على الإرهاب؛ من الحرب ضدّ طالبان إلى غزو العراق، والأخطاء المتراكمة التي دفعت في النهاية إلى زيادة خطر الإرهاب العالمي الإسلاموي، وظهور تنظيم داعش؛ الذي استقطب مقاتلين من ١٢٠ دولة في العالم، الذين يشكّلون خطراً محتملاً في المستقبل القريب على دولهم، في حال عودتهم،

إضافة إلى خطر ظاهرة إرهاب الذئاب المنفردة.

ولعلّ هذا ما دفع البعض، عشية الذكرى السابعة عشرة لهجمات ١١ سبتمبر، إلى التصريح بأنّ تنظيم القاعدة هو الذي انتصر في النهاية، بسبب ضيق العقل الأمريكي.

هل تساهم المعتقلات في إعادة التأهيل؟

إنّ أهمّ الأسئلة التي نقّب عنها المساهمون في الكتاب الثاني سؤال: هل يمكن أن تكون السجون والمعتقلات مكاناً مناسباً لبرامج إعادة التأهيل، وهو سؤال يستلهم روح الفيلسوف والمنظر الاجتماعي البريطاني، جريمي بنثام، صاحب فكرة البانوبتيكون (Panopticon) المراقبة المركزية والخفية، وقوة العقل على العقل، التي تسربت إلى أفكار الفلاسفة والكتّاب منهم: الفرنسي ميشيل فوكو، وشغفه بمسألة السجن والحرية للإنسان، عندما كتب مقالته «المراقبة والمعاقبة»، ونعوم تشومسكي، وزيجمونت بومان، والروائي جورج أورويل في «مزرعة الحيوانات»، وإمكانية خلق مجتمع من الجواسيس.

ورغم الجدل العميق حول دور السجون وإمكانية التأهيل داخل السجن، وفوائده للمجتمع بشكل عام؛ إلا أنّ التجارب تبقى متضاربة، في الأردن -مثلاً- كانت تجربة السجون سلبية جداً؛ حيث خرّجت أكثر من ٩٠٪ من أشرس إرهابيي الأردن، وعلى رأسهم «أبو مصعب الزرقاوي»، والعديد من الإرهابيين الذين كانوا معه في السجن، وقتلوا في العراق، وأفغانستان، والشيشان، وكردستان، وسوريا.

> **أفضل الإستراتيجيات تلك التي تدمج بين مختلف الأساليب وتخلط الطرق الخشنة بالناعمة**

وفي العراق؛ خرج من سجن «بوكا» أشرس إرهابيّي داعش اليوم، وعلى رأسهم «أبو بكر البغدادي».

وهؤلاء كلهم كانت تحركهم أيديولوجيا متطرفة، ما تزال تُستغلّ، وتستخدم كعامل توحيد ودمج للمؤمنين بها.

ولذلك؛ فإنه دون برامج ضدّ الأيديولوجيا المتطرفة في كلّ الديانات التي تستخدم الدين للدعاية والتجنيد وتبرير أعمالها الإرهابية، لن تنجح جهود مكافحة التطرف العنيف والإرهاب، وبرامج إعادة التأهيل والدمج لسببٍ بسيط؛ وهو أنّ الدين هو أساس معضلة الأيديولوجيا المتطرفة، وهو ما طبقته السعودية واليمن والعراق ومصر وسيرلانكا وماليزيا وسنغافورة وإندونيسيا، في برامجها المختلفة.

لكن؛ هل تكفي المعالجة التقليدية (الاجتماعية، والسيكولوجية، والدينية) وحدها في مكافحة التطرف العنيف وإعادة التأهيل؟

بالطبع لا؛ لذلك فإنّ هناك مقاربة جديدة متعددة الأبعاد، وهي «إعادة التأهيل الاقتصادي»، التي تستند إلى تجربة حلّ النزعات بعد الحروب، وتقوم على أفكار مثل: نزع السلاح، والإدماج، والتعبئة (DDR) المستمدة من التجربة الأمريكية في

أمريكا الوسطى، عام ١٩٨٩، للاستفادة من المتطرفين والإرهابيين ليكونوا منتجين، ويندمجوا في المجتمع، بدل بقائهم كتهديد لأمن المجتمع هناك.

اليوم، ظهرت دراسات تدّعي أنّ المشاكل والأزمات المالية العالمية كانت وراء انتشار مظاهر التطرف العنيف والشعبّوية في أوروبا وأمريكا؛ لذلك فإنّ هناك أهمية لفهم الآليات التي تعمل بها آليات العولمة الاقتصادية في التأثير في حياة الأفراد، كما يمكن أن تكون إعادة التأهيل خارج السجون، بمشاركة كافة الأطراف الفاعلة؛ بداية من الدولة إلى القطاع الخاص، وحتى المجتمع والعائلة، أيضاً يمكن أن تشكّل وصمة العار(stigmatization) والاحتقار التي تلاحق الإرهابيين، حتى المفرج عنهم، نقطة حاسمة لمسألة إعادة التأهيل والإدماج في المجتمع.

كما يمكن لتشجيع وتحفيز «ريادة الأعمال»، وإقامة المشاريع الاقتصادية التشاركية الصغيرة، مثل: المطاعم، ومكاتب تأجير السيارات، والورش الصناعية الصغيرة، أن تساعد في مكافحة التطرف العنيف وإعادة التأهيل والإدماج، ويمكن أن تشكّل مجالاً واسعاً يُكافح من خلاله التطرف العنيف، ويعمل على دمج الأفراد المتهمين بالإرهاب والتطرف العنيف، وإزالة وصمة العار التي تلاحقهم وتدفعهم للاغتراب والتهميش.

البيئة المحيطة جانب لا يمكن إهماله

لكن، لا يمكن لكلّ هذه البرامج والمقاربات أن تنجح دون

دراسة وفهم دور المحيط والبيئة الحاضنة للمتطرفين والإرهابيين في المجتمع والعائلة والأصدقاء؛ لذلك لا بدّ لهذه البرامج من استهداف هذه البيئة، وفهم آلياتها، من خلال إعادة التأهيل الاجتماعي، وتعدّ تجارب السعودية وسنغافورة وسيرلانكا أمثلة مهمة على هذه المقاربة.

للوصول إلى برامج شاملة وكلانية لإعادة التأهيل والإدماج والرعاية للمتهمين؛ لا بدّ لنا من استخدام مقاربة «إعادة التأهيل السيكولوجي» للمتهمين بالإرهاب، الذين يحملون أيديولوجيا متطرفة، وذلك من خلال رحلة مضنية ومعقدة من العمليات النفسية التي تهدف إلى إعادة صياغة وتأسيس المتهمين، ليكونوا فاعلين في المجتمع مرة أخرى، باستخدام نوعين معروفين من المعالجة هما: العزل للمتهمين، وعدم السماح لهم بحرية الاتصال والحركة واللقاءات، والثاني العكس؛ وهو الدمج للمتهمين، والسماح لهم بحرية الحركة واللقاءات العائلية، بحسب تصنيف الحالات داخل السجون.

في النهاية؛ تحتاج كلّ هذه المقاربات والبرامج المتنوعة والمختلفة إلى عملية تقييم شاملة وواضحة ضمن نماذج متعددة ومتنوعة وآليات ومعايير تختلف من دولة إلى أخرى، لتقييم البرامج والبيانات والدلائل الإحصائية، ونسب النجاح التي تحققها البرامج في مجالين: التحول الفكري والتحوّل السلوكي.

لقد استطاع البروفسور روهان والباحثة صبرية من خلال هذا الكتاب، أن يقدمّا إضافة نوعية لا

تقـدَّر بثمـن إلى أدبيـات برامـج إعـادة التأهيـل والاندمـاج والرعايـة اللاحقـة، الـتي تعـاني مـن ضعـف في الإنتـاج البحـثي والتأليـف الرصـين والعميـق، خاصـة في العالـم العـربي.

مـع تـرك المجـال مفتوحـاً لمزيد مـن الدراسـة والبحـث في المسـتقبل والبعـد عـن الحتميـات وادعـاء الحكمـة، مـن خـلال التأكيـد عـلى أنّـه ليـس هنـاك نمـوذج موحـد لبرامـج إعـادة التأهيـل والاندمـاج ومكافحـة التطـرف العنيـف، وأنّ هـذه البرامـج تصلح لكافـة أشـكال التطـرف العنيـف، وليسـت مقتـصرة عـلى الجماعـات الإسـلاموية فقـط، وأنّ هـذه البرامـج ليسـت ترفـاً فكريـاً؛ بـل ضرورة ملحّـة، وسـاحة أخـرى في المعركـة المفتوحـة مـع الإرهـاب العالمـي، خاصّـة في ظـلّ احتمـال عـودة الكثـير مـن «المقاتلـين الأجانـب الإرهابيـين» مـن سـاحات القتـال إلى بلادهـم، خاصـة الـدول العربيـة.

إذاً؛ إنّ أفضـل الإسـتراتيجيات هـي تلـك الـتي تدمـج بـين مختلـف الأسـاليب، وتخلـط الطـرق «الخشـنة» بـ «الناعمـة»، بمـا يحـول دون انتشـار الفكـر المتطـرف في المكونـات الهشّـة للمجتمعـات، لا سـيما في العالـم العـربي.

«الاعتدال والتطرف».. محاولة للفهم والمواجهة

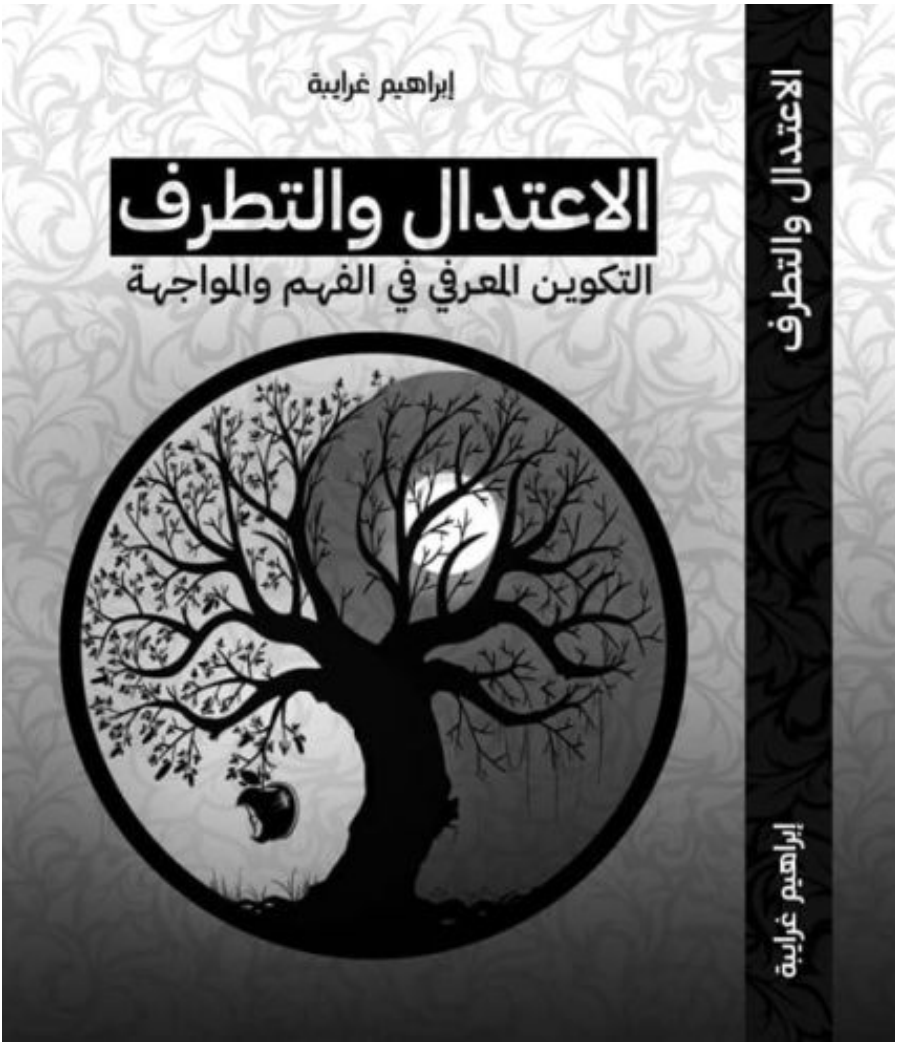

حاوره : سعود الشرفات
كاتب أردني

يقول إريك هوفر، في كتابة «المؤمن الصادق» (٢٠١٠): إنّ المتطرف يعدّ أيّة قضية يعتنقها قضية مقدسة، وليس بالإمكان إبعاده عنها بالمنطق والنقاش.

هل نحن في حاجة اليوم، في ظلّ الكمّ الهائل من المشاكل والأزمات السياسية والاجتماعية والاحتجاجات والاضطرابات السياسية والحروب والنزعات المسلحة، التي تعمّ العالم العربي والشرق الأوسط والعالم، إلى كتبٍ حول الاعتدال والتطرف؟ وهل تشكّل مثل هذه الموضوعات من الدراسة والبحث الاهتمام ومشقة البحث؟ وهل تلقى هكذا كتب اهتمام الناس والمؤسسات والدول أصلاً؟

أعتقد أنّه؛ بالنظر إلى أنّ مشكلة التطرف بكافة أشكاله تقع في القلب من معظم مشاكل العالم وأزماته المستعرة حالياً، يغدو من المهم أن نبذل المزيد من الجهد والمتابعة في البحث والتنقيب والحفر، في البنى الاجتماعية والثقافية والسياسية، والحواضن الموضوعية المنشئة للتطرف، وكيف يتولّد التطرف العنيف المفضي إلى العنف والإرهاب.

التطرف مفهومٌ إشكالي ومُلتبس، ليس فقط التطرف الديني العنيف؛ بل كلّ أنواع التطرف، والتطرف الديني العنيف ظاهرة اجتماعية متخطية للزمكان، ومتخطية

يواصل المؤلف عملية الحفر والتنقيب عميقاً في مجاهل الظاهرة وتتبع أصولها التأسيسية

للأديان والمجتمعات، وقد أصبحت ظاهرة التطرف، والتطرف العنيف، وعلاقته بالإرهاب العالمي، كما سبق أن أشرت أكثر من مرة، «موجة» العلوم الإنسانية اليوم، ولا أظنّ أنّ هناك ظاهرة اجتماعية معاصرة في حقول الدراسات الإنسانية حظيت، وما تزال تحظى، بالاهتمام والدراسة في مختلف فروع العلوم الإنسانية، مثل ظاهرة التطرف الديني، خاصة بعد أن اقترنت بالإرهاب العالمي المعاصر.

من ضمن الكتب في هذا الحقل من الدراسة؛ صدر في العاصمة الأردنية، عمّان، كتاب جديد للباحث الأردني إبراهيم غرايبة، بعنوان «الاعتدال والتطرف، التكوين المعرفي في الفهم والمواجهة».

الغرايبة من الباحثين العرب المهتمين برصد ظاهرة التطرف والتطرف العنيف، خاصة التطرف الديني والإرهاب، وقد سبق لنا في «حفريات» أن عرضنا مراجعة لكتابه الأول، عام ٢٠١٨، حول التطرف، الذي كان بعنوان «ما التطـــــرف؟»، والذي نقّب فيه المؤلف عميقاً في» أركيولوجيا» الظاهرة في مختلف المصادر القديمة والحديثة العربية منها واللغات الأخرى بمراجع حديثة ومعتبرة في مختلف حقول المعرفة الإنسانية التي حاولت تفسير الظاهرة.

كان جلّ الكتاب في نقد التطرف بكافة أشكاله وأنواعه، وليس فقط التطرف الديني

ولطالما أكد أنّ التديّن منتجٌ حضاري اجتماعي يعكس الحالة الاجتماعية والسياسية في المجتمع ويأخذ بالعادة أشكالاً مختلفة ومتعددة للمتدينين، وأنّ التطرف ذو طبيعة واحدة، مهما تعدّدت أشكاله وأسبابه، وأنّ «التطرف الديني العنيف» ظاهرة اجتماعية مُعقدة جداً، صعد منذ سبعينيات القرن العشرين، في الوقت نفسه الذي بدأت مكافحته بمقارباتٍ دولية «خشنة»، تعتمد التدخل العسكري والعمليات الأمنية الاستخبارية.

أمّا في الكتاب الذي بين أيدينا، والذي يتكون من (٢٩٧) صفحة، وتمّ تقسيمه إلى مقدمة و٦ فصول؛ فقد ذكّر المؤلف على صفحته الشخصية في الفيسبوك؛ بأنّ كتابه هذا «يمثل الجزء الثاني من كتاب «ما التطرف؟»، سابق الذكر، وأنّه جاء ليركّز على «فهم الاعتدال والتطرف

التديّن منتجٌ حضاري اجتماعي يعكس الحالة الاجتماعية والسياسية في المجتمع

بمنظورٍ سيكولوجي وسوسيولوجي وشبكي وفردي، باعتبار الاعتدال والتطرف تشكلات وتكوينات مستمدة من البيئة المحيطة بالأمم والأفراد وفي سياق التقدم والفشل».

وفي هذا الكتاب؛ واصل المؤلف عملية الحفر والتنقيب عميقاً في مجاهل الظاهرة، وتتبع أصولها التأسيسية (جينولوجيا التطرف)، متكئاً على ذخيرة وافرة من الفهم العميق لروح الدين والرواسب الفكرية والفلسفية، المؤثرة في الظاهرة، من مختلف مشارب المعرفة الإنسانية؛ من التاريخ إلى السياسة، إلى علم الاقتصاد والاجتماع وعلم النفس، إلى الفنون والمسرح والرسم والعمارة، بمقاربة كلانية معتبرة ومميزة، ليغوص في أعماق التطرف، ولماذا يتركز البحث حول التطرف وينحسر الحديث في المقابل عن الاعتدال؟

وكعرض شمولي غير تقليدي لفصول الكتاب التي جاءت مرتبة على نحوٍ مميز، نلاحظ أنّ المؤلف افتتح الكتاب بالفصل الأول حول الاعتدال والتطرف، وفي الفصل الثاني سيكولوجيا الاعتدال والتطرف، والفصل الثالث حول الاعتدال والتطرف بمنظور اقتصادي اجتماعي، والفصل الرابع الاعتدال والتطرف بمنظور شبكي، والفصل الخامس الاعتدال والتطرف في سياق الفرد

التطرف الديني العنيف ظاهرة اجتماعية متخطية للزمكان ومتخطية للأديان والمجتمعات

والفرديـة، أمّـا الفصـل الأخـير؛ فـكان في بنـاء الاعتـدال ومواجهـة التطـرف.

الملاحظـة الأولى عـلى الكتـاب: هـي تركـيز غرايبـة عـلى أولويـة قيمـة الاعتـدال في مقابـل التطـرف، ولذلـك نـراه يُعـنى بتقديـم مفهـوم الاعتـدال عـلى مفهـوم التطـرف في الفصـول السـتّة للكتـاب، وذلـك كي يعـلي مـن قيمـة الاعتـدال، ويقلـل مـن شـأن التطـرف، حـتى إن كان جـلّ الكتـاب في نقـد التطـرف بكافـة أشـكاله وأنواعـه، وليـس فقـط التطـرف الديـني، حـتى إن كان أخطرهـا.

ولذلـك نلاحـظ أنّ المؤلـف في مقدمـة الكتـاب يُجـادل بـأنّ الكراهيـة والتطـرف هما الفشـل (الاعتـدال هـو النجـاح والازدهـار)، وأنّ الاعتـدال ليـس عـدم مخالفـة القانـون؛ لأنّ عمل جماعـة مهمـا كانـت وفـق القوانـين لا يعـني أنّهـا معتدلـة.

وفي ذلك إشارة عميقة وخطيرة من قبل المؤلف لا يمكن تأويلها إلا من خلال النظر ومتابعة سلوك معظم جماعات الاسلام السياسي واليمين المتطرف في الغرب، والأحزاب الشعبّوية التي تنشط من خلال صناديق الاقتراع، والالتزام الشكلي بالقوانين والأنظمة لاختراق بنية المجتمعات المعاصرة».

وينقل المؤلف عن (كاس. ر. سينشتاين)، أستاذ القانون بجامعة «هارفارد» الأمريكية، في كتابه «الطريق إلى التطرف: اتحاد العقول وانقسامها» (٢٠١٤)؛ أنّ «التشابه يؤدي إلى التطرف، والتنوع يؤدي إلى الاعتدال»، بمعنى أنّ «الجماعات عند اجتماعها تذهب إلى الحدود القصوى للتطرف، وهنا ينتهي أعضاء الجماعة الذين يتشاورون فيما بينهم إلى مواقف متطرفة داخل الاتجاه العام للجماعة نفسه، وبصورة أكثر مما كانت عليه قبل أن يبدأ هذا التشاور». وهذا الأمر، أي الميل إلى التطرف، يحدث عندما يكون الأفراد متشابهين في التفكير، وكذلك عندما يكونون في جماعة منعزلة»، ويضيف الغرايبة؛ المواجهة مع التطرف أصبحت بين حبّ الحياة وتقديرها، وحبّ الموت، وبين الكراهية والمحبة، والسؤال المفتاحي في التفكير والبحث عن الإجابات هو: كيف تختفي أو تنحسر الأفكار والمعتقدات والمشاعر المؤسسة للعنف والكراهية؟

وهنا، ليس لدينا مجال للتفكير سوى عبر هذا السؤال، بما في ذلك من مواجهة مع الذات، فما لدينا من مؤسسات وبرامج وإستراتيجيات لم تعد كافية؛ لأنّها في فلسفتها وروايتها المُنشئة تنتمي إلى مرحلة

مواجهة التطرف والكراهية معركة مع من لم يكونوا في الحسبان عند بناء إستراتيجيات التعليم والتنشئة والإعلام والثقافة

الهرميّة الآفلة؛ أي عندما كانت قيادة الهرم باحتكارها للمطابع والمدارس والصحافة والحدود تقرّر للناس ماذا يعرفون، وماذا لا يعرفون، اليوم أصبح الناس يعرفون كلّ ما يريدون، ويسعون لمعرفته من أيّ مصدر في العالم، بلا استئذان، بسبب سيرورة العولمة التكنولوجية، ولم يعد «من حليفٍ في هذه المواجهة سوى الأفراد والأسر».

الملاحظة الثانية: إنّ المؤلف يدرك إدراكاً عميقاً الأدوار الواسعة والخطيرة التي تلعبها سيرورة العولمة، وتحطم السرديات الكبرى، وتطور أدوار جديدة للأفراد والجماعات بعيداً عن فضاء الدولة وهرميّة السيطرة والقيادة القديمة التي بات يعتريها الهرم والصدأ بتسارعٍ يتماهى مع التسارع التكنولوجي، والنتيجة الخطيرة في ذلك هي حتمّية فشل كافة المقاربات الرسمية التي تحتكرها السلطة في معركة المواجهة مع المتطرفين والإرهابين.

والملاحظة الثالثة: الدور الكبير الذي يعطيه المؤلف للتكنولوجيا أو آليات العولمة التكنولوجية، معبراً عنها بالشبكة (شبكة الإنترنت)؛ حيث يرى المؤلف أنّ الفردية هي عنوان «الشبكية»، وهي عنوان للمواجهة في المرحلة الانتقالية للحضارة الحالية التي يتوهم الناس أنّها راسخة ومهيمنة،

بينما يعتريها التغير المتسارع، كما أنّ الحداثة نفسها صارت عبئاً على نفسها وأنتجت نقيضها.

وفي هذه الأجواء؛ يصبح التطرف هو الجواب الأكثر ملاءمة لظروف التهميش والتفكك الذي يعتري البنى الاجتماعية، بمعنى آخر؛ يبرز التطرف بأشكاله المختلفة، خاصة التطرف الديني، ليملأ الفراغ الناتج عن تهشّم البنى الاجتماعية والاقتصادية السائدة.

والحال؛ أنّ النظر في مبتدأ المسألة، كما هي اليوم، يظهر، بحسب رأي المؤلف، أنّ «معظم المؤسسات القائمة، المعوَّل عليها في المواجهة، كالأجهزة الأمنية والعسكرية والمدارس والجامعات والمؤسسات الاجتماعية والثقافية، تبدو عاجزة عن المواجهة؛ بل غير قادرة على التفكير في مواجهة شخص غير معروف لها ابتداءً، يريد أن يقتل نفسه».

يؤكّد المؤلف أنّ التطرف بما هو أفكار ومعتقدات ومشاعر وتؤسس للعنف والإرهاب «لم ينحسر بعد إن لم يزد، الأمر الذي يعني أنّ الإستراتيجيات الثقافية والاجتماعية القائمة، إن لم تكن تساعد على التطرف، فإنّها فاشلة في مواجهته»، وما من ضمان أو مؤشرات ترجح ألا تحمل الأجيال الأفكار المتطرفة، وتنضمّ إلى الجماعات المتطرفة والإرهابية، أو أن تنتج ذئاباً منفردة.

ويرى المؤلف؛ أنّ المواجهة مع التطرف والكراهية هي «معركة المجتمعات والأفراد الذين لم يكونوا في الحسبان عند بناء إستراتيجيات

التعليـم والتنشـئة والإعـلام والثقافـة، ولذلـك يطالـب بـأن تعـود السـلطات إلى المـدن والمجتمعـات، الـتي هيمنت عليهـا، وأضعفـت مؤسسـاتها وأدواتهـا ومواردهـا المسـتقلة».

قراءة في كتاب «التطرّف» لإبراهيم غرايية

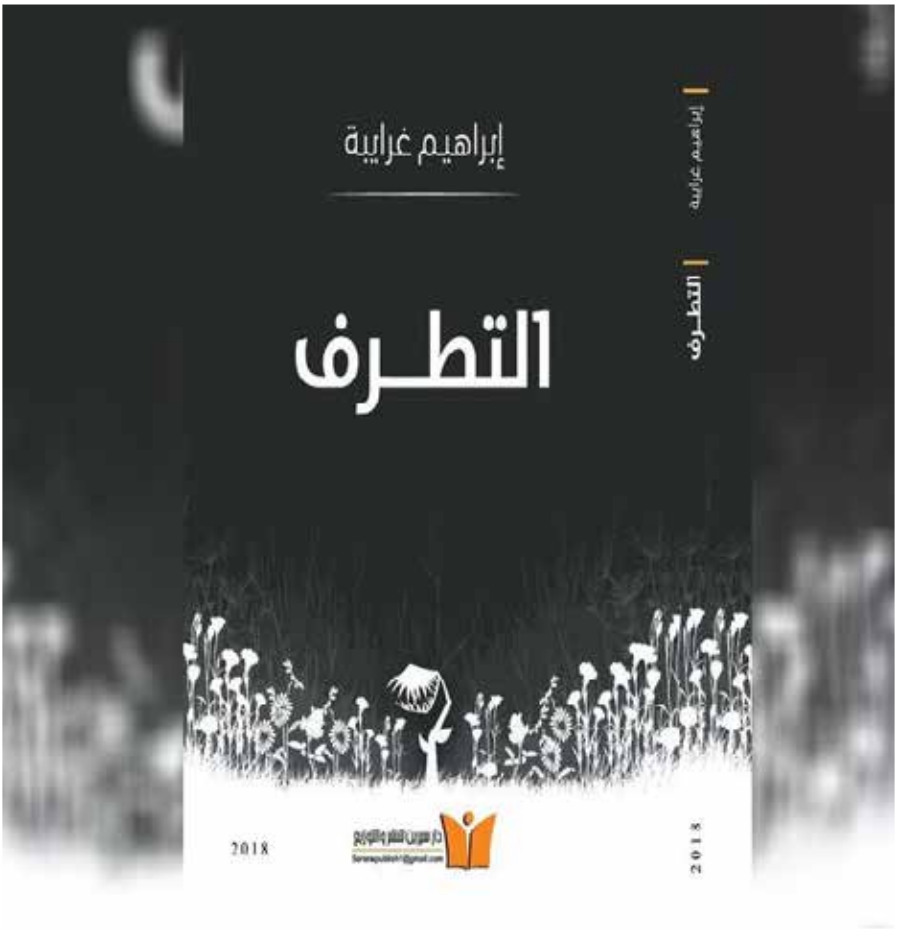

حاوره : سعود الشرفات
كاتب أردني

«نحن لا نجرؤ ليس لأنّ الأشياء صعبة، بل الأشياء صعبة لأنّنا لا نجرؤ» (سنيكا الأصغر).
والكتابة عن «التطرف الديني الإسلاموي» هذه الأيام، يحتاج إلى أكثر من الجرأة، يحتاج إلى بصيرة استشرافية وإحساس ومعرفة عميقة؛ بمعنى الدين كحاجة إنسانية، وأننا بشر ولسنا ملائكة.

التطـرف هـو الفعـل المتعمّـد في تجـاوز حـدود مـا هـو متعـارف عليـه وقـارّ في مجتمـعٍ مـا، غـير أنّ مـا هـو متعـارف عليـه يختلـف مـن مجتمـعٍ لآخـر، ومـن الاختلافـات الدقيقـة الحـادة، يطـلّ برأسـه شـيطان التفاصيـل الدقيقـة.

جينولوجيـا التطـرف معقـدة، وإشـكالية جـداً، مـا التطـرف؟ مـا علاقة الديـن وأشـكال التديـن بالتطـرف؟ هـل هنـاك أزمـة خطـاب حـول مفهـوم التطـرف؟ ومـن أيـن يـأتي المتطرفـون؟ كيـف نميـز بـين التطـرف والاعتـدال؟ مـا الـدور الـذي تلعبـه الدولـة والسـلطة في عمليـة التطـرف؟ مـا العلاقـة بـين التطـرف العنيـف والإرهـاب العالمـي؟ هـل أثـرت سـيرورة العولمـة عـلى نـشر التطـرف؟ مـا هـي أسـاليب مكافحـة التطـرف العنيـف والأدوار الـتي يمكـن أن تلعبهـا مؤسسـات المجتمـع في مكافحـة التطـرف العنيـف؟ هـذه بعـض الأسـئلة الحارقـة الـتي حـاول الباحـث الأردني إبراهيـم غرايبـة الإجابة

> **هناك مقاربة قاتلة وسائدة في العالم العربي والإسلامي في مجال مكافحة التطرف الديني العنيف والإرهاب**

عنها، في كتابة الصادر حديثاً بعنوان «التطرف».

وفي قراءة هذا الكتاب سيتم استبعاد الخوض في مسألة التعريفات للمفاهيم، لكثرتها، أو الخوض في المسائل الثيولوجية والمسائل الفقهية الدقيقة؛ التي يعدّ الغرايبة من أكثر الباحثين العرب المعاصرين اطلاعاً وفهماً لها.

هكذا؛ التطرف؟!

عنوان من كلمة واحدة فقط، قصد بها الغرايبة دفعنا لمزيد من اليقظة والتحفّز والدهشة؛ التي تعني الشعور بخروج الظواهر عن مألوف خبرتنا ومعتقداتنا، كما يقول أرسطو، ليضعنا أمام لجاجة السؤال؛ لأنّه يعرف أن ميزة الكائن المفكّر هي في طرح الأسئلة، وليس في الإجابات المتلعثمة، أو المزهوّة بادّعاء المعرفة.

ويعتبر الكتاب من أهم المقاربات الحديثة التي حاولت تفسير ظاهرة التطرف العنيف من خلال سياقاتها الاجتماعية، ويشكل إضافة نوعية فريدة لأدبيات ظاهرة التطرف بشكل عام، والتطرف الديني بشكل خاص.

حيث نقّب غرايبة عميقاً في «أركولوجيا» الظاهرة، في مختلف المصادر القديمة والحديثة، العربية

إنّ مصادر المتطرفين الفكرية والدينية نفسها المصادر المتقبلة لدى المسلمين

منها والتي باللغات الأخرى، بمراجع حديثة ومعتبرة في مختلف حقول المعرفة الإنسانية التي حاولت تفسير الظاهرة.

جينولوجيا التطرف

يرى الغرايبة؛ أنّ التدين منتج حضاري اجتماعي يعكس الحالة الاجتماعية والسياسية في المجتمع، ويأخذ بالعادة أشكالاً مختلفة ومتعددة للمتدينين، والتطرف ذو طبيعة واحدة مهما تعددت أشكاله وأسبابه، وأنّ التطرف الديني العنيف ظاهرة اجتماعية معقدة، صعدت منذ سبعينيات القرن العشرين، في الوقت نفسه الذي بدأت مكافحته بمقارباتٍ دولية خشنة (kinetic)، تعتمد التدخل العسكري والعمليات الأمنية الاستخبارية.

وتحتكر «الدولة»، كطرفٍ فاعلٍ وحيد، عملية مكافحة التطرف العنيف، والإرهاب الناتج عنه، من خلال إصرارها على «احتكار القلة» (oligopoly)؛ الذي تمارسه على الفضاء الديني، «وهنا تصبح الحرب في جوهرها ليست ضدّ التطرف العنيف والإرهاب بذاته، لكنّها ضدّ ممارسة الدين، أو تطبيقه، وحتى فهمه، خارج مؤسسات الدولة».

الخطير في الأمر؛ أنّ «الدولة» كصاحبة القوة القهرية في المجتمع الدولي حتى الآن، ما تزال تغري وتجذب «مؤسسات المجتمع المدني»، بمشاركتها في مقارباتها الخشنة أو السكوت عليها، وهذه ظاهرة عالمية، ولا تخصّ بلداً بعينه؛ حيث تتحالف المؤسسة العسكرية، والمؤسسات السياسية، ورجال المال والأعمال معاً في المثلث الحديدي للسلطة، الذي وصفه عالم الاجتماع الأمريكي اليساري «تشارلز رايت ميلز»، في كتابة «سلطة النخبة» (The Power Of Elite,١٩٥٦)، وبما يشبه ربقة القانون الحديدي للأويغاركشية (Political Parties: A Sociological Study of the Oligarchical Tendencies of Modern Democracy,١٩١١)، لعالم الاجتماع الألماني «روبرت ميشيل».

من جهة أخرى؛ هناك مقاربة قاتلة وسائدة في العالم العربي والإسلامي، في مجال مكافحة التطرف الديني العنيف والإرهاب، وهي الشغف باستخدام المفاهيم الغربية الملتبسة مثل: الوسطية، التسامح، الاعتدال، والتطرف، والإرهاب، بشكلٍ مفارق لسياقها التاريخي الفلسفي والأفكار المنشئة لها، وفوضى المفاهيم هذه تؤشر

التطرف هو الفعل المتعمّد في تجاوز حدود ما هو متعارف عليه وقارّ في مجتمعٍ ما

على فوضى المجتمع في كافة مناحي الحياة، ويرتبط بذلك التركيز على المعالجة الدينية فقط، وإهمال العوامل الأخرى في المعالجة.

وهنا يشير الغرايبة إلى ما يمكن تسميته «معضلة مكافحة التطرف العنيف والإرهاب الإسلاموي»، وهي تتلخص في أنّ «المصادر الفكرية والدينية للمتطرفين هي المصادر، القائمة والمتقبلة، لدى العرب والمسلمين نفسها، على مدار تاريخهم الطويل، لأنّهم لا يستخدمون نصوصاً غير التي نؤمن بها»، أما ما يسمى بالردود العلمية والفقهية والفكرية على المتطرفين، ووصمهم؛ كالقول إنّهم خوارج أو كلاب النار، فإنّها يمكن أن تفيد «المعتدلين» أصلاً.

لكنّها، للأسف الشديد، لن تؤثر أو تفيد المتطرفين والإرهابيّين.

باختصار؛ لا يُضير الإرهابيّين أو المتطرفين وصمهم بالإرهاب والتطرف العنيف؛ لأنهم يفتخرون بذلك أصلاً؛ باعتبارهم حماة الشريعة وشهداء الدفاع عنها أمام أعدائها البعيدين أو القريبين.

باستثناء؛ أنّ الدولة صاحبة السلطة القهرية ترى أنهم يريدون تطبيق مبادئهم بأنفسهم، وهذا

بحسب «مؤشر الإرهاب العالمي» فإنّ ٩٩٪ من قتلى العمليات الإرهابية جرت في الدول التي تعاني من الصراعات والإرهاب السياسي

حقها وواجبها، لذلك لن تسمح بأن تزاحم عليه أو ينتزع منها، وإلا فقدت مبرّر وجودها.

أما في نظر جماعات «الإسلام السياسي» الأخرى، وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين، على سبيل المثال، فإنّ الجماعات المتطرفة والإرهابية مُتعجلة، ولا تأخذ بسنن التدرج.

والمرعب في الأمر هنا؛ أنّه لا يوجد خلاف جوهري بين توحّش تنظيم داعش وتنظيم الإخوان المسلمين، إلا في توقيت إطلاق موجات التوحّش؛ لينحشر الفرد مجبراً بين تطرف وإرهاب الجماعات المتطرفة، وتطرف الدولة المحتكرة للسلطة القهرية.

ويمكن تتبع «جينولوجي» التطرف العنيف والإرهاب في الأفكار والثقافة والمناهج، وتقديس التراث والتاريخ والآراء الفقهية، دون تمييز بين الدين والخطاب الديني والنصوص وفهمها، التي يتجلى فيها الامتلاء بالشعور بالصواب والحقّ، وأنّ الآخر مخطئ وباطل، وعدم إدراك معقولية الآخر وتعلم فلسفة إمكانية تعدد الصواب، وتعدد «الصراطات» واحتمال الخطأ، وأنّ الاستقلال بين الاعتقاد الديني وتنظيم الحياة ضرورة دينية وحياتية.

إنّ العالم هو الذي يقاوم العولمة، والإسلاميون، من خلال ممارسة التطرف العنيف والإرهاب

في المقابل؛ ينظر كثير من الباحثين في الغرب إلى الأفكار الإسلامية حول الخلافة والجهاد ودوافع المتطرفين والإرهابيّين، على أنها أفكار «متخلفة»، وغير واقعية، وتمثل «العصور الوسطى»، وكأنّها أفكار مفارقة لأصول الدين الإسلامي ومعزولة عن التاريخ الإسلامي، على اعتبار أنّ التاريخ يسير بخطٍ مستقيم وضمن حقب وعصور هي: التاريخ، وما قبل التاريخ، والعصور الوسطى، وعصر الأنوار والنهضة، والرأسمالية، وهكذا. بينما هو لدى المتطرّفين زمن دائري يمكن أن يدور الفلك فيه، لتعود الخلافة مرة أخرى.

وهذا، في رأيي، هو جذر السؤال الذي ظهر في أمريكا والغرب، عقب هجمات ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ الإرهابية، ضدّ أمريكا: لماذا يكرهوننا؟!

يؤكد الغرايبة؛ أنّ مكافحة الإرهاب والتطرف العنيف ما تزال تسير في الاتجاه الخاطئ؛ لأنّ الدول وأجهزتها في مختلف دول العالم مشغولة بأعراض الظاهرة وتجلياتها، أكثر من انشغالها بجوهرها وأسبابها؛ ولذلك تواصل الجماعات المتطرفة والإرهابية اجتذاب وتجنيد المؤيدين، والاستمرار بدفعهم إلى ساحات القتال، والقيام بالعمليات الإرهابية الانتحارية، وتحريض

«الذئاب المنفردة» لشنّ الهجمات في مختلف دول العالم.

ولذلك؛ طال الإرهاب (٣٠٨) مدينة في (٧٧) دولة في العالم، العام ٢٠١٦، نتج عنها وفاة (٢٥٦٧٣) شخصاً، معظمهم من المدنيين، وخسائر كبيرة في الممتلكات والأهداف الرخوة، و٩٩٪ من قتلى العمليات الإرهابية، جرت في الدول التي تعاني أصلاً من الأزمات والصراعات والإرهاب السياسي، بحسب «مؤشر الإرهاب العالمي» (GTI)، الذي يصدره «معهد الاقتصاد والسلام» في سيدني، وهذا يدلّ على مدى عولمة الظاهرة وتخطيها للحدود القومية.

التطرف العنيف والإرهاب الثمرة العفنة للعولمة

أثرت سيرورة العولمة، بآلياتها المختلفة، خاصة التكنولوجية، في زيادة انتشار ظاهرة التطرف العنيف والإرهاب؛ من خلال تفتيتها العنيف للبنى الاجتماعية، وضغطها للزمكان، ما أدّى إلى تحطيم الحواجز الجيوسياسية والنفسية، وعمق الشعور بالمواجهة بين البشر، الأمر الذي تجلّى في صراع الهويات وزيادة حدة التعبير عن الهوية (نحن/ الآخر) والعنف الرمزي، وعودة ظهور الأحزاب القومية، المتطرفة والشعبوية والإسلاموفوبيا، والإجراءات السياسية والاقتصادية الحمائية، والنكوص عن العولمة، وهو ما نلاحظه بسهولة، اليوم، في أمريكا وعدد من الدول الأوروبية.

وهي ملاحظة مهمة جداً تنبه إليها الغرايبة، حتى إن لم تكن جديدة؛ حيث سبق لعدد من الباحثين في العلاقات المتبادلة بين سيرورة

التدين منتج حضاري اجتماعي يعكس الحالة الاجتماعية والسياسية في المجتمع

العولمة وظاهرة التطرف الديني والإرهاب «الإسلاموي»، مثل المنظر السياسي الأمريكي بنجامين باربر، الذي وصف الإرهاب بأنّه «الثمرة العفنة للعولمة»، في كتابه المشهور «الجهاد ضدّ عالم الماكدونالدز» (Jihad vs. McWorld, ١٩٩٥).

والفرنسي أوليفيه روا؛ الذي أشار إلى هذه الفرضية في كتابه «عولمة الإسلام»، حينما أكّد عولمة وانتشار الإسلام كدين روحاني، في مقابل فشل الأصولية كمشروع لإقامة الخلافة أو الدولة الدينية.

لكنّ الجديد في فرضية الغرايبة؛ تأكيده على دور وتسارع تأثير «الشبكة العالمية» في حياتنا المعاصرة، وفي ظاهرة التطرف العنيف والإرهاب في الفضاء الديني

> **إنّ العالم هو الذي يقاوم العولمة، والإسلاميون، من خلال ممارسة التطرف العنيف والإرهاب**

الإسلامي؛ من ممارسة العبادات وأشكال التدين، إلى التعليم في المدارس والجامعات، إلى الدستور والقوانين والأنظمة والتشريعات الناظمة للحياة السياسية، في الأحزاب والتنظيمات، وتشكيل الحكومات والمؤسسات الحكومية، وفي كلّ ذلك؛ يلاحظ الغرايبة أنّ الدولة ما تزال هي المسيطر واللاعب الوحيد، وأنّ الجماعات المتطرفة والإرهابية هي الوحيدة التي تنازعها هذا الاحتكار.

إنّ النظام الذي ساهمت بصناعته وتشكله سيرورة العولمة، خاصة الآليات السياسية و(التكنولوجية)، هو الذي سهّل وأنشأ الشروط الموضوعية لفوران مرجل التطرف، والغلوّ، والكراهية، والإرهاب العالمي المعاصر، بهذا الشكل الواسع والعميق؛ حيث يمكن أن نرصد ترافق فورة صعود الحالة الدينية مع انطلاق سيرورة العولمة المعاصرة، خاصة بعد تفكّك الاتحاد السوفياتي، وانهيار جدار برلين، وانسحاب الروس من أفغانستان.

ومن وجهة نظر «شبكة حركات مناهضة العولمة»؛ إنّ العالم هو الذي يقاوم العولمة، والإسلاميون، من خلال ممارسة التطرف العنيف والإرهاب، يعبّرون عن كلّ واحد في عالم يناهض العولمة التي تحتكر القوة في عالم اليوم.

> **لا يُضير الإرهابيّين أو المتطرفين وصمهم بالإرهاب والتطرف العنيف لأنهم يفتخرون بذلك باعتبارهم حماة الشريعة**

وقد باتت هذه المقاربة المخيفة تلقى رواجاً ملحوظاً، عند معارضي العولمة وأدبيات مكافحة التطرف الديني والإرهاب.

لقد كانت فكرة مقاومة العولمة بسيطة، فهذا «النظام الدولي» الذي يكره الموت ويتجنبه، يكون السلاح المميت ضدّه هو أشكال متنوعة من الموت الانتحاري، والتفجير من خلال الإرهاب؛ الثمرة المتعفنة للعولمة، بحسب وصف بنجامين باربر، أو العولمة من الأسفل، بحسب مقاربات اليسار الجديد، والكثير من منظري العولمة.

كيف نواجه التطرف والإرهاب؟

ميزة الغرايبة، في كلّ إنتاجه الفكري، منذ ثلاثة عقود، وليس في هذا الكتاب فقط؛ الذي أخذ منه أربعة أعوام من التحضير؛ أنّه لا يتحدث عن المشكلات والمعضلات، دون أن يطرح وجهة نظره الخاصة، والحلول التي يرى أنّها تساهم في حلّ معضلاته.

وهنا، بعد أن جال في كلّ مجاهل ودروب ظاهرة التطرف العنيف، ولم يترك في الطريق حجراً إلا قلّبه في بحثه عن التطرف؛ قدّم مشروعة البسيط والمكثف حول

كيفيــة «معالجــة» أســباب ظاهــرة التطـرف العنيـف والإرهـاب، وليسـت أعــراض الظاهــرة، الــتي تقــوم عــلى «بنــاء مـشروع كلاني» (Holistic) كبـير، يتمــيز بمشــاركة واســعة مــن كافــة الأطـراف الفاعلـة في المجتمـع؛ ابتـداء بالدولــة، إلى مؤسســات المجتمــع المــدني، إلى الأفــراد الفاعلــين في المجتمـع، بهـدف «الإصـلاح والحـوار والانتمــاء، والمشــاركة، والتســامح، والحريــة، والتأهيــل المجتمعــي، وتطويــر التعليــم والمناهــج ووســائل الإعـلام، والعـدل في أن تتـاح الفـرص بالتســاوي أمــام جميــع المواطنــين؛ للحصــول عــلى التعليــم والعمــل والرعايــة الصحيــة والاجتماعيــة، والتنافــس بعدالــة عــلى الوظائــف والمناصــب، والمكتســبات والمــوارد، وتأديــة الواجبــات بالتســاوي».